دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	علماء البحار العرب و اصطلاحاتهم البحرية
المصدر:	مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الناشر:	مجمع اللغة العربية
المؤلف الرئيسي:	الصيرفي، حسن كامل
المجلد/العدد:	ج 24
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1969
الصفحات:	142 - 149
رقم MD:	233151
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	علوم البحار، العلوم عند العرب، البحرية الإسلامية، مصطلحات علم البحار، الملاحة البحرية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/233151

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

علماء البحار العرب
واصطلاحاتهم البحرية

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

منذ أحد عشر عاماً نشرت فى «المجلة» التى كنت أعمل فى تحريرها مقالاً عن الملاح الشاعر شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدى المتوفى فى مستهل القرن العاشر الهجرى ونهاية القرن الخامس عشر الميلادى .

ولقد كان شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن محمد بن عمرو بن فضل بن ذُوَيْك ابن يوسف بن حسن بن حسين بن أبى معْلَق السعدىّ بن أبى الركايب النجدى – نسبة إلى مسقط رأسه « نجد » – من علماء فن الملاحة وتاريخه ، ورث ذلك عن أبيه وجدِّه ، فقد ألَّفا كذلك فى هذا الفن. ولكن شهاب الدين هذا قد تفوَّق عليهما . وهو إلى ذلك شاعر استغلَّ موهبته فى نظم القصائد والأراجيز التى ضمنها كل اختباراته . وشعره رقيق ، ولكنه يضعف حين يحمِّله الاصطلاحات الفنية ، ويختلُّ وزنه أحياناً أو يضطر إلى الوقوع فى أخطاء صَرْفية ، ولكنه مع ذلك لون جديد فى الأدب العربى .

وكان شهاب الدين أحمد بن ماجد يلقب بأسد البحر ، وليث الليوث ، وكان يقال له المعلِّم .

وينسب إليه – فى رواية – اختراع الإبرة المغناطيسية .

وتذكر بعض الروايات أنه هو الدليل العربى الذى اعتمد عليه الأُسطول البرتغالى بقيادة ڤاسكو داجاما Vasco da Gama حيث سيَّر هذا الأُسطول من « ملندة »

Malindi على ساحل إفريقية الشرقية إلى « قاليقوط » Calicut على الشاطئ الغربى لشبه جزيرة الهند ، ومن الطرائف التى تُروى عن هذا الملاَّح العربى الشاعر ماذكره ريتشارد برتون R. Burton المستشرق البريطانى الذى زار مصر عام ١٨٣٥ واستقلَّ من السويس سفينة إلى يَنْبُع والمدينة ومكة متنكرًا ، ثم راد أواسط أفريقية ؛ فقد ذكر هذا المستشرق أن بحَّارة عَدَن كانوا يقرأُون قبل إبحارهم الفاتحة للشيخ ماجد .

وقد صنَّف ابن ماجد عددًا ضخماً من المؤلفات فى علم البحار ، وكان للمستشرق الفرنسى جبرييل فرّان G. Ferrand الفضل فى إذاعة آثار هذا العالم البحرى إذ نشر فى باريس سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ مجموعة من هذه المؤلفات عن مخطوطة محفوظة فى باريس يبلغ عدد أوراقها ١٨١ أى ٣٦٢ صفحة ، وعدد سطور كل منها ١٩ سطرًا كتبت سنة ٩٨٤هـ. وقدنشرها هذا المستشرق بطريقة الفوتوجرافور . وفى دار الكتب المصرية نسخة منقولة بالتصوير الشمسى عن المخطوطة الباريسية ، وهى محفوظة بالدار برقم ٥٧ جغرافيا .

كما نشر المستشرق الروسى أُغناطيوس كراتشقوفسكى فى ليننجراد سنة ١٩٣٧ أرجوزة لابن ماجد بطريقة التصوير أيضاً وهى التى يذكر ناظمها فى مقدمتها أنها المسماة بالسفالية ، ومعناها يقتضى معرفة المجارى والقياسات من مليبار وكنكن والزنج وسفالة (وهى المعروفة بسفالة الزنج) والقُمُر وجزره ، ونوادرعلوم جميع ما فى تلك التواحى ، إلى آخر الأَرض من الجنوب . . . الخ ، ويستهلها بقوله :

الحمدلله الذى أنشا الملا
من عدم جلَّ تعالى وعلا

وهذه الأرجوزة مع أرجوزة أخرى وقصيدة نشرها ١٩٥٧ فى موسكو معهد الاستشراق بالمجمع العلمى للاتحادالسوفييتى بعنوان « ثلاث راهمانجات المجهولة » لأحمد بن ماجد بالتصوير عن النسخة العربية الفريدة الموجودة فى مكتبة معهد الاستشراق ، وقد عنى بنشرها وتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الروسية المستشرق الروسى ثيودور شوموفسكى .

فأَما الأرجوزة الأُخرى فهى المسماة بالمعلقية من بر الهند إلى بر سيلان . . الخ ، وأَما القصيدة ، فهى التائية وهى من جدة

إلى عدن فى وصف المجارى والقياس فى البحر الكبير .

ولابن ماجد أرجوزة اسمها « السبعية » فى ذكر سبعة علوم من علوم البحار ، أبياتها ٣٠٥ ومطلعها :

تبارك الربُّ الذى هدانا
فى بحره المسجور إذ أنجانا

ثم « الهادية » فى علم البحر . وعدد أبياتها ١٥٥ مطلعها :

الحمد لله الحسيب الهادى
فى بَرِّه والبحر للرشادِ

وقصيدة فى علم البحر أبياتها ٣٣ ومطلعها :

خليلىَّ هيَّا واسمعا دُرَّ منطق
فلا عاش من يخفى العلوم ولا بقى

وهذه القصائد الثلاث الأُخرى محفوظة بمكتبة باريس برقم ٢٥٥٩ ، ولها صورة شمسية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥ جغرافيا .

وله رسالة موجودة فى الموصل اسمها « الميل » ، وأخرى فى فينَّا عنوانها « فكرة الهموم والغموم والعطر المشموم فى العلم المبارك المقسوم فى العلامات والمسافات والنجوم » .

أما المجموعة التى نشرها المستشرق الفرنسى جبرييل فرّان فقد بدئت بكتابه « الفوائد فى أُصول علم البحر والقواعد » وهو يستغرق من تلك المجموعة ١٧٥ صفحة وقد رتبها على اثنتى عشرة فائدة كالأبواب ، وأتى فيها على ذكر أول من ركب البحر وأسباب ركوبه ، وصانعى السفن . ثم أفاض فى بيان المنازل والدارات والمسافات والقياسات والرياح ومطالع المغارب والاستواءات والبرور والسواحل .

وقد قلت فى مقالى الذى أشرت إليه إن هذه الرسالة زاخرة بالاصطلاحات الملاحية والفلكية ، وأهبت يومذاك بمجمع اللغة العربية أن يستصفى هذه الاصطلاحات ثم ينشرها مع تفسيرها وذكر أصولها ومقابلها فى اللغات الأخرى ، فيضيف إلى المعاجم المعاجم العربية مادة ليست بالقليلة تزيد من ثروتها العلمية فى هذه الناحية .

— وتتلو هذه الرسالة أرجوزته المسماة « حاوية الاختصار فى أصول علم البحار » .

وقد رتبها على أحد عشر فصلا فى بيان ما يجب على البحارة معرفته عن المنازل والأخنان وقواعد الباشات والنيروز العربى والسلطانى ومعرفة السنين العربية والقبطية

والرومية والفارسية ودائرة برّ العرب ومجموع أبياتها ١٠٣٥ يبدأها بقوله :

الحمد لله ذى الجلال

القاهر الفرد بلا مثال

ثم أرجوزته « المُعرِبة » التى عرَّبت الخليج البريرىَّ وصححت قياسه وهى من رأس حافونى إلى باب المندَم (المندب) واشتقاق ديرة المطالقة لبرِّ العرب وصفات مجارى زيلع ، أولها :

يا سائلى عن صفة المجارى

ثم قياس الأنجم الدرارى

وعدد أبياتها ١٧٧ .

ثم « قِبْلَة الإسلام فى جميع الدنيا » قال فى مقدمتها : « لما رأيت الناس يميلون عن معرفة القِبْلة ومساجدهم مائلة عن قصد القِبْلة وليس لهم أصل علم يعرفون به القبْلة خصوصاً فى المدن اللواتى بقرب البحر وجزره التى يمرُّ بها المسافر ، نظمت هذه الأرجوزة ، وأقمتها بأوضح الأدلة وأسهلها . . . » .

وأبياتها ٢٩٥ وقد بدأها بقوله :

باسم الله المستعان أبتدى

مصلِّيًا على النبىّ أحمدِ

ليسهل التشديد من مرامى

فى نظم دُرٍّ قِبْلة الإسلامِ

وتليها أرجوزة « برّ العرب فى خليج فارس » وهى ٢٥٣ بيتاً استهلها بقوله :

يا طالعًا من آخر الفراتِ

والبصرة الفيحاء خذْ وصاتى

ثم أرجوزة فى قسمة « الجمَّة » على أنجم بنات نعش عدَّتها ٦٨ بيتًا ، بيَّن فيها كيف يستدل رجال البحر (أو النواتية) وغيرهم على مسالك السير فى البحار ، ومطلعها :

يا قاسم الأرزاق لم ينسَ أحدْ

فَرْدٌ غياث المستغيثين أحَدْ

وبعدها قصيدة سمَّاها « كنز المعالمة » وذخيرتهم فى علم المجهولات فى البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها . وعدد أبياتها ٧١ ، ومطلعها :

يا أيها الناس ماذا شئتمو قولوا

الأرض معلومة والبحر مجهولُ

ثم أرجوزة فى النتخات لبر الهند وبر العرب ، فى ٢٥٥ بيتاً جعل مطلعها :

ياطالب النتخة بالحقائقِ

من كل برٍّ بقياس فائق

فقصيدته المسماة « ميمية الأبدال » وعدَّتها ٦٤ بيتاً ؛ أوَّلها :

سهاد حكت عينى عصارة عندمِ
وكل نجوم الليل تسأَل عن دمى

ثم « المخمسة » وهى ٥١ بيتاً نظمها عام ٩٠٦ هـ ذكر فيها الكواكب التى يهتدى بها الملاحون .

وتليها قصيدة نظمها فى عدة الأَشهر الرومية ، وعدد أَبياتها ١٣ بيتًا .

ثم القصيدة المسماة « ضريبة الضرائب » وأَبياتها ١٩٢ ؛ أَوَّلها :

شباب برأسى أعجب الناس من أَمرى
أَتانى عقيب الشيب فى آخر العمر

ويلى ذلك أرجوزة منسوبة لعلىّ بن أَبى طالب فى معرفة المنازل وحقيقتها فى السماء وأَشكالها وعددها ؛ وهى مؤلفة من ٤٨ بيتاً أَوّلها :

الشرطين فهو رأس الحَمَل
إذا بدا فى وقته المعتدل

ولا شك فى أَنها منحولة ، ولم نجدها فى ديوان على بن أَبى طالب .

ثم القصيدة المكية التى وصف فيها الطريق من مكة لجدَّة إلى فرتك لقاليقوط والدبيل وكنكن وجزرات والأَطواح وهرمز وأَبياتها ١٧٢ ؛ مطلعها :

فؤادى أَسيرُ الحىِّ من شعب عامر
أَحوم عليه بالدُّجى والهواجِرِ

فالقصيدة المسماة « نادرة الأَبدال » فى الواقع وذبان العيُوق ، وهى ٥٦ بيتًا .

وتتلوها قصيدته البائية المسماة « الذهبية » وأَبياتها ١٩٤ ، فقصيدته « الفائقة » فى قياس الضفدع ، ويسمى فم الحوت اليمانى ، ويسمى ساكب الماء ، ويسمى الظليم الفرد ، ويسمى النهر وقيده سهيل وهى ٥٧ بيتًا .

ثم قصيدته « البليغة » فى قياس السهيل والرامح ؛ وعدَّتها ٦٥ بيتًا .

وقد ختمت هذه المجموعة بثمانية فصول نثرية زاخرة أَيضاً بالاصطلاحات الملاحية .

* * *

وهناك بحار آخر عاش بعد ابن ماجد بسنوات هو سليمان بن أَحمد بن سليمان المهرى ، وهو من بلاد الشحر جنوبى حضر موت .

وقد أَلَّف هذا البحار ثلاثة كتب فى علوم البحار هى « العمدة المهرية

فى ضبط العلوم البحرية » و « المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر » و « تحفة المفحول فى تمهيد الأصول » ويرجع تاريخ هذه المخطوطات إلى عام ٩٤١ هـ .

وفى دار الكتب نسخة مأخوذة منها بالتصوير بالزنكوغراف برقم ٣٩٥ جغرافيا.

وفى مؤلفات المهرىّ اصطلاحات ملاحية أيضاً مع تفسير لها .

* * *

وثمة كتاب ألّفه بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزى عنوانه « عجائب الهند : بره وبحره وجزائره » . وقد نشره المسيو مرسل دومك ، مع مقدمة بالفرنسية وطبع فى ليدن سنة ١٨٨٣ – ١٨٨٦ .

وكتاب « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » الذى ألّفه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى المعروف بشيخ حطين وشيخ الربوة ، والمولود سنة ٦٥٤ هـ والمتوفى سنة ٧٢٧ هـ . وقد طبع هذا الكتاب بمدينة بطرسبرج سنة ١٨٦٦ مع مقدمة بالألمانية .

وفى هذه الكتب من اصطلاحات ، للملاحين شىءٌ غير قليل .

* * *

ومما يتصل بهذا الباب ما ذكره المقدسى المعروف بالبشارى أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبى بكر البنا من علماء القرن الرابع الهجرى فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، فقد ذكر أكثر من ثلاثين اسما للسفن (صفحة ٣١–٣٢) .

وما أطلق على الملاحين من أسماء مثل « الاشتيام » التى ذكرها البحترى فى قصيدة مدح بها أمير البحر أحمد بن دينار ابن عبد الله ، ووصف فيها مركباً كان اتخذه ابن دينار ، وهو والى البحر ، وغزا فيه بلاد الروم حيث يقول :

إذا زَمْجَرَ النُّوتىُّ فوق عَلاتِه
رأيتَ خَطيباً فى ذُؤابةِ مِنْبَرِ
يَغُضُّون دُونَ الاشْتِيام عُيُونَهُمْ
وفَوْقَ السِّمَاطِ للعظيم المُؤَمَّرِ

(انظر « ديوان البحترى » ٩٨٣ دار المعارف بتحقيقى) ، وقد قلت فى شرحه « الاشتيام : رئيس المركب كما فى المعجم . وقد حقق الدكتور زكى المحاسنى هذه اللفظة فقال : إن لفظها فى الفرنجية Icthyame وقد ورد فى معجم Auge الفرنسى أن « إشتى » كلمة يونانية

معناها المسيح المنقذ Christ Sauveur و « آم » من معانيها الروح والحرارة . والكلمة فى أصلها رومية . وقد وردت فى تاريخ الطبرى (أخبار سنة ٢٥١) حيث قال « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج فى كل سفينة اشتيام » . وقال الجواليقى فى المعرب (١٨٣) « مع اشتيام السفينة البحرية وهو رأس الملاحين » . وجاء بحاشية أصل « أمالى المرتضى » (١ : ٩٤ طبعة الحلبى) : « والاشتيام رئيس المركب ؛ كلمة نبطية » . وقال المعرى فى شرح بيت البحترى (عبث الوليد ١٠٣) : « الاشتيام : كلمة لم يذكرها المتقدمون من أهل اللغة ، فإذ سئل من ركب البحر عنها قال : البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام . فإن كانت هذه الكلمة عربية فهى الافتعال من شام البرق ، لأن رئيس المركب يكون عالماً بشئون البروق والرياح ويعرف من ذلك مالا يعرفه سواه ، فكأنه مسمًّى بالمصدر من « اشتامَ » .... وفى البحر سمكه تعرف بالاشتيام وهى عظيمة ، ويجوز أن تكون سمِّيت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك ، وإذا أُخذ بهذا القول فهمز الاشتيام همزة وصل .... وإن كان الاشتيام كلمة أعجمية فأَلِفه أَلِفُ قَطْع » .

ولكن المرحوم الأُستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر كان قد علق على نقطة « الاشتيام » فى هامش كتاب « المعرب » للجواليقى بقوله : « فى اللسان : والاشتيام : رئيس الركاب . ولم أعرف أصل هذا الحرف ، أعربىٌّ أم معرب ؟ ولم ينصُّوا على شىءٍ فيه ، ولعله إن كان خاصا برئيس الملاَّحين أن يكون مشتقًّا من « الشتم » لكثرته فى هذه الطائفة ورؤسائها » .

* * *

كذلك وردت فى بعض المراجع العربية لفظة « الناخداه » وهو رئيس السفينة ، ويقول الأَسقف ادى شير فى كتاب « الألفاظ الفارسية المعربة » (١٥٠) أنه مأخوذ من : « ناخُدَا » وهو مركَّب من « ناو » أى سفينة ، ومن « خُدَا » أى صاحب .

ومما ذكره المقدسى من السفن هذه الأَسماء : جاسوس ، زورق ، رَقية ، تَلَوَّى ، عرداس ، طيَّار .

وهى سفن نهرية سريعة الجريان ، ولعلها أقرب الألفاظ إلى تعريب كلمة « لَنْش » .

زَبْزب ، كاروانيّة ، مثلثة ، واسطيّة ، ملقوطة ، شنكولية ، بُرَاكِيَّة ، خَيْطِيّة ، شموط ، مسبحيَّة ، جبليّة ، مكّيّه ، زبَرْيَاذيَّة ، بَرْكة ، سوقية ، شبوق ، دونيج .

وهناك السميريا أو السمارية ، ويقال السمرية ، وهى ضرب من السفن النهرية كانت بالعراق ، وهى تشبه ما نعرفه فى مصر باسم « الذهبية » .

* * *

أما الاصطلاحات التى وردت عند ابن ماجد ،ونتمنى أن يعمل مجمع اللغة العربية الموقر على استخلاصها وتحقيق أصولها ونشرها معجم صغير ، تمهيداً لإضافتها هى وغيرها من الاصطلاحات التى لم تدخل معاجمنا من قبل فهى على سبيل المثال لا الحصر :

أَزيب : وهى ريح جنوبية

باشى : وهو ارتفاع نجم بالنسبة للنجم القطبى .

تِرْفا ، ترفَى : من مقاييس خط الرض.

تقاصير ، أقاصير : الأماكن الرملية التى لا تستطيع السفن السير فوقها .

الحُقة : البوصلة .

خَنْ « خانة . أخنان » : من أجزاء البوصلة

دِيرة : طريق .

رِقّ : شعب .

هِمانج ؛ وقد ورد فى معجم أقرب الموارد : الرَّهْنامج والرَّاهنامج : كتاب الطريق وهو الذى يسلك به الملاحون فى البحر ويهتدون به إلى معرفة المراسى وغيرها ، وهو فارسى مركَّب من « راه » أى طريق و « نامه » أى كتاب .

زام : قياس

نتخ ، نتخات : ما يضبط الطريق الملاحى

إلى آخر ما ذكره ربابنة البحر . وهى ألفاظ ما زال كثير منها يتردد على ألسنة الناس فى مناطق الخليج العربى وإن حُرِّف بعضه .

حسن كامل الصيرفى